في المَجُوس ومريم

وجدنا هذه القصيدة بين اوراق المحافل الادبيَّة التي عُقدت في كنيستنا بنسبة عيد الميلاد او عيد الغطاس. ولم نعرف ناظمها ونظنُّها لاحد اساتذة المدرسة سابقًا. فنشرناها لمعانيها البليغة ومواقفتها لاعياد رأس السنة وقد حذفنا واصلحنا فيها بعض ابيات ركيكة او مختلّة الوزن (المشرق)

في مولد الابن ضاء النور وانتشرا ... وقد ازاح ظلاماً للهدى سترا
لذاك اشرقت الدنيا بمجدةٍ ... بذلك النور شبهَ الآب اذ ظهرا
لقد تلألأ في حضن البتول فذ ... بدا تبدَّد غيم الجهل والخسرا
ضجَّ الشعوب وأذّوا عند مظهرهِ ... مجدًا لمن بابنهِ نورُ الهدى سفرا
قد ابهج الشرق تجلّي نوره وبدا ... في ارض فارس نجمٌ في الظلام سرى
مضى يبشّرهم انَّ الخلاص قد ... وافى ليُفديَ من أسر الخطا بشرا
نجمٌ سرى وهو يدعوهم ليبتهجوا ... بفيض نورٍ الى الدنيا قد انحدرا
وافى ليهديَهم في قصد مذودهِ ... فيجدوا لمليكٍ مجدُهُ بهرا
قاموا فساروا حثيثًا يبتغون لهُ ... واستشدوا ملكًا في القدس قد ظهرا
حلُّوا رُبى بيت لحم في مواكبهم ... جاءوا البتولَ بقربانٍ لهم وفُرا
لقد اتوها فاهدوا اذ اتوا ذهبًا ... مع اللُّبان ومرًّا فاخرًا عطرا
حتى اذا دخلوا ألفَوا بجانبها ... طفلًا صغيرًا ثوى في مذودٍ حقُرا
فكفَّروا اذ دنوا عن ذنبهم واتوا ... امامهُ بالهدايا سُجَّدًا شُكُرا
قالت لهم مريمٌ ماذا أتى بِكُمُ ... بذي الهدايا لطفلٍ راضعٍ صغُرا
قالوا لها انَّ هذا في الورى ملكٌ ... لا بل بهِ كلُّ تاجٍ في الورى ظُفِرا
لهُ على الكلّ سلطانٌ سما ولهُ ... يدين كلُّ امرئٍ في الارض مذ فُطِرا
قالت متى كان هذا انَّ بانسةً ... مثلي يكون ابنها بين الملوك يُرى
قالوا بكِ تمَّ هذا السرُّ حيث يُرى ... في الكون منكِ مليكٌ عزَّ واقتدرا
قالت لهم ليس لي كنز الملوك ولا ... مالٌ ولا مسكنٌ اقضي بهِ العُمُرا

قالوا بلى ولابنك الكنز العظيم به ... يغنى الجميع غنًى ما كان مفتقرا
قالت فماذا رأيتم يا كرامُ سوى ... طفلٍ ثوى صامتًا في المهد محتقرا
وبيت أمٍ حوى من كلّ مكرمةٍ ... فأيّ ملكٍ ترون الآن منتظرا
قالوا رأينا كما قد قلتِ ملكًا ... بالاتضاع وحسن الصبر مُدَّثرا
قالت عليكم اذًا قبل السجود لهُ ... ان تثبتوا منهُ ملكًا حيَّر الفكرا
قالوا ثقي أنهُ حقًّا لنا ملكٌ ... في ذاك أنبأنا النجمُ الذي ظهرا
وهو الذي قد هدانا نحو موطنهِ ... والنجم ليس يضلُّ السير حين سرى
قالت صغيرٌ بلا تاجٍ ولا وُزُرٍ ... فهل ترون لملكٍ عندهُ اثرا
قالوا صدقتِ صغيرٌ غير انَّ بهِ ... تصاغُرًا عن رضًى يُديهِ لا صِغَرا
وسوف يفضي الى وقتٍ تخرُّ لهُ ... فيهِ الملوك سجودًا بالوقار جرى
قالت ألا ليس لابني في الورى عُدَدٌ ... ولا جنود بهم يعتزُّ منتصرا
قالوا لهُ جند نورٍ فوق مرتقبٍ ... قد استوى في الاعالي يُرسل الشررا
وقد أتى واحدٌ منهم ليدعُونا ... من عزّهِ كلُّ من في ارضنا ذُعِرا
قالت الا انهُ طفلٌ فكيف ترى ... يدبّرُ الملك طفلٌ بالحبا استترا
قالوا صبيُّكِ شيخٌ يا بتول غدا ... قديم دهرٍ لقد فاق الورى كِبَرا
قد باتَ اصغر منهُ آدمٌ وبهِ ... خلق البريَّة بالتجديد قد ظفرا
قالت اذًا اوضحوا ذا السرّ لي علنًا ... من اين جاء ومن ابداهُ مشتهرا
قالوا ثقي أنهُ لو لم يصحّ لما ... جئنا فلم يخدعنا طارقٌ عَبرا
قالت كفى اخبروني عن ضمائركم ... وعن حقيقة هذا السرّ كيف طرا
قالوا شهابٌ عظيم النور لاح لنا ... مبشّرًا بليلكِ في الورى ظهرا
قالت دَعُوا عنكمُ قولًا يهيج بهِ ... سخط الملوك على طفلي اذا انتشرا
قالوا لها لا تخافي انَّ قدرتهُ ... تغني الملوك ولا تخشى بهم ضررا
قالت اخافُ اذا ما ذاع قولكمُ ... بين الملوك درى هيرودس الخبرا
فربَّما قطع العنقود مبتدرًا ... قبل النضاج ولم ندرك لهُ ثمرا
قالوا ذراعُ ابنكِ الجبَّار تحتهُ ... قهرًا وتُنزل ذاك التاج جوف ثرى

قالت ارى انَّ أورشليم من قِدَمٍ ... وادي الدماء وقد سالت بها هدَرا
فربَّما ان درت بالطفل تقتلهُ ... فدونكم كتْم امري واستروا الخبرا
قالوا لها كلّ وديانٍ تدمّرها ... ذراعهُ وتردُّ السيفَ منكسرا
قالت فانَّ أُولي الكهنوت شأنهمُ ... ان يسفكوا بتجنّيهم دمًا طَهُرا
قالوا سيغدو به الكهنوت مندرسًا ... مع كل عيدٍ لهم بالاحتفال جرى
قالت كذاك ملاك الربّ بشّرني ... لمَّا حَبلتُ بهذا الطفل اذ حضرا
فقال لي انَّ طفلي صائرٌ ملكًا ... عظيم تاجٍ سنيّ يغلب القدرا
قالوا صدقتِ وذيّاك الملاك بدا ... من نور نجمٍ يفوق الشمس والقمرا
قالت وانَّ ملاكَ الله اخبرني ... بانَّ سلطانهُ ما كان منحصرا
قالوا نعم وكذاك الربّ أعلمنا ... بانهُ ملك الاملاك مقتدرا
لكنَّنا ما عرفناهُ بنظرهِ ... اذ كان عنَّا بزيّ النجم مستترا
قالت دعاهُ ملاك الله سيّدهُ ... وابنَ العليّ فكيف ابنُ العليّ يُرى
قالوا صدقتِ فذاك النجم بشّرنا ... بان ربَّ العُلى في الناس قد ظهرا
وانَّهُ يتولّى الخيّرات وقد ... دعا بنا فانطلقنا مثلما امرا
قالت فدونكمُ سرًّا أُبيّتهُ ... لكم وذلك لم أُعلن بهِ خبرا
ولدتهُ وانا بكرٌ فذاك اذًا ... ابنُ الاله بهِ سرُّ الإلهِ جرى
قالوا وثقنا فانَّ النجمَ اطلعنا ... بأنهُ فاق في ميلادهِ البشرا
وأنهُ خير من في الكون قاطبةً ... وابنُ الاله الذي للكائنات برى
قالت نعم فالسَّما والارض شاهدةٌ ... مع الملائك والأملاك دون مرا
بأنهُ إبنُ ربِّ العرش خالقنا ... لا بل هو اللهُ بالناسوت قد سُترا
قالوا لقد علمتْ أقطار فارسَ إذ ... بدا لها النجمُ في الظلماء مستترا
بانَّ طفلك هذا الله منكِ بدا ... يطيعهُ الكون فيما شاء مؤتمرا
قالت اذيعوا سلامًا في بلادكمُ ... ولا تخافوا بما جئتم لهُ حذرا
قالوا سلام ابنك السامي يبلّغنا ... الى منازلنا لا تخشي خطرا
فليفتقدنا بلطفٍ في تملُّكهِ ... مباركًا ارضنا بالخير مذكرا

قالت لتفرح في بشراكم ابدًا قلوبُ كلّ الملا اذ تسمع الخبرا
فحين ينشر ابني ظلّ دولتهِ ترونَ بندَ علاهُ عندكم نُشرا
قالوا بميلادهِ فلترهُ بيعتهُ وليرتفعْ كلُّ مَن لله قد شكرا
فالأُفقُ فيهِ زها والارض قد هتفت سبحانَ مَنْ سرَّ في ميلادهِ البشرا

وقد ارسل الينا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف قصيدةً في مقتل اطفال بيت لحم هذا مطلعها :

أعرفتَ ما ملأَ الفضاء عويلا وأعاد قلب السامعين عليلا
ونظرتَ معترك الدموع بمقلةٍ شكرَى ولا تشفي بذاك غليلا

الى ان قال :

هذي العوالم بالتفجع انّنا هيرودسُ مُتهلّلٌ تهليلا
ان كان يجهلُ او تجاهل قُلْ لهُ إسمعْ ولا تنكرْ بكا راحيلا
تبكي على اولادها من غير سلـــوَى إذ رأت كلٌّ يخرُّ قتيلا
لا تستخفُّوا بالمصاب فانّهُ رابيكمُ كلٌّ يراهُ وبيلا
فهناك والدةٌ تنادي طفلها مع والدٍ يذري الدموع سيولا
جمعٌ يجرّعهُ المصابُ كؤوسهُ حتى امتلا ذاك الفضاء عويلا

وقد ختمها بقولهِ :

لكنّ سيّدنا المسيح واهلهُ جدُّوا الى اقطار مصر رحيلا
بجوانحٍ خفقت وخافت فتكَ من ملأَ العباد بظلمهِ تهويلا
كان الإلهُ مسيّلًا لطريقهِ فتوثّقوا لبلاد مصرَ وصولا
مكثوا هنالك ريثما سمعوا بمـــوت عدوّهم فاستقدموا تعجيلا
قبحًا لافعال الحوُون فانّهُ في ما اتاهُ ما استفادَ فتيلا
والظلمُ مصرعه وخيمُ عواقبٍ فلذاك يمسي مقتهِ ذليلا